تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى على ما ذهب
اليه جمع من المفسرين ان الله اخرج ذرية ادم بعضهم من بعض على حسب ما يتوالدون الى يوم القيمة
في ادنى مدة لكون الكل بالنفخة في الصور وحصول الكل بالنفخة الثانية فصورهم واستنطقهم واخذ
ميثاقهم ثم اعادهم جميعا في صلب ادم ثم انسانا تلك الحالة انسانا لنؤمن بالغيب وحاصل كلام
المصنف من الاستدلال بالايات ان الانسان قد خص من بين الحيوانات بوجوب اشياء له وعليه
وتكاليف يؤاخذ بها فلا بد فيه من خصوصية بها يصير اهلا لذلك وهو المراد بالذمة فهي
وصف يصير به الانسان اهلا لما له وما عليه واعترض بان هذا صادق على العقل بالمعنى المذكور
فيما سبق وان الادلة لا تدل على ثبوت وصف مغاير للعقل واجيب بانا لا نسلم ان العقل بهذه
الحيثية بل العقل انما هو لمجرد فهم الخطاب والوجوب مبني على الوصف المسمى بالذمة حتى لو
فرض ثبوت العقل بدون ذلك الوصف كان ركبنا العقل في حيوان غير الادمي لم يثبت الوجوب له
وعليه والحاصل ان هذا الوصف بمنزلة السبب لكون الانسان اهلا للوجوب له وعليه والعقل
بمنزلة الشرط فان قلت فما معنى قولهم وجب او ثبت في ذمته كذا قلت معناه الوجوب
على نفسه باعتبار ذلك الوصف فلما ان الوجوب متعلق به جعلوه بمنزلة طرف يستقر
فيه الوجوب دلالة على كمال التعلق واشارة الى ان هذا الوجوب انما هو باعتبار العهد
والميثاق الماضي كما يقال وجب في العهد والمروة ان يكون كذا وكذا واما على ما ذكره فخر
الاسلام من ان المراد بالذمة في الشرع نفس ورقبة لها ذمة وعهد فمعناه انه وجب
على نفسه باعتبار كونها محلا لذلك العهد فالرقبة تفسير للذمة وهذا عند التحقيق من تسمية (في الهامش: النفس والعهد تفسير)
المحل باسم الحال والمقصود واضح قوله قال الله تعالى واذ اخذ ربك ذهب كثير من
المفسرين الى انه تمثيل والمراد نصب الادلة الدالة على الربوبية والوحدانية المميزة بين الضلالة
والهدى وكذا قوله تعالى وكل انسان الزمناه الاية تمثيل للزوم العمل له لزوم القلادة للعنق
من غير اعتبار استعارة في العنق على انفراده كما يقال جعل القضاء في عنقه لا يراد وصفه
صار اهلا لذلك وانما المراد مجرد الالزام والالتزام وتحقيق ذلك الى علماء البيان واما
قوله تعالى وحملها الانسان فالمراد بالامانة الطاعة الواجبة الاداء والمعنى انها لعظمها
بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها
وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي لها والقائم بحقوقها بخير

الدارين

الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار
الاغلب وقيل لما خلق الله تعالى هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت
جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا
ولا عقابا ولما خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمل ما يشق عليها جهولا
بوخامة عاقبته وقيل الامانة العقل والتكليف وعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
واباؤهن عدم اللياقة والاستعداد وحمل الانسان قابليته واستعداده وكونه ظلوما
جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان
من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم
مقاصد التكليف تعديلهما وكسر سورتهما وظهر انه لا دليل في هذه الايات على كون الانسان
وصفا به يصير اهلا لما عليه وليت شعري اي دلالة للعنق على ذلك واي حاجة الى اعتبار
الاستعارة في كل مفرد من مفردات الكلام وايضا لما كان مبنى هذه الاستدلال الايات
على ان الانسان يلزمه ويجب عليه شيء فلا بد فيه من وصف به يصير اهلا لذلك فلم يكن حاجة
الى هذه التكلفات بل دلالة قوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكوة على هذا المعنى اظهر ولما
ثبوت الحقوق له لا بد له على ان فيه وصفا هو الذمة لجواز ان يكون ذلك لذات الانسان
على ان استحقاق الرزق غير مختص بالانسان فلم يثبت الذمة لكل دابة قوله فان مر سانحا
السانح ما ولاك ميامنه اي مر من مياسرك الى ميامنك والبارح بالعكس والعرب
تتطير بالبارح وتتفأل بالسانح لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تنحرف فبهذا الاعتبار استعير
الطائر لما هو سبب الخير والشر من قضاء الله وقدره وعمل العبد فانه ما قدر للعبد
بمنزلة طائر يطير اليه من عش الغيب ووكر القدر ولا يخفى ما في كلام المصنف من
التسامح حيث جعل الطائر استعارة لنفس الخير والشر اي قضاء الله وقدره واعمال
العباد ثم قال فالمعنى الزمناه ما قضى الله له من خير او من شر فجعل الطائر عبارة عن
نفس الخير او الشر المقضي ثم القضاء هو الحكم من الله والامر اولا والقدر هو التقدير
والتفصيل بالاظهار والايجاد وفي كلام الحكماء ان القضاء عبارة عن وجود جميع المعلومات في الكتاب
المبين واللوح المحفوظ مجتمعة مجملة على سبيل الابداع والقدر عبارة عن وجودها مفصلة منزلة
في الاعيان بعد حصول الشرائط كما قال عز وعلا وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر

Copyright © King Saud University